كِتَابُ الجَغْرَافِيَة

وَمَا ذَكَرَتْهُ الحُكَمَاءُ فِيهَا مِنَ العِمَارَةِ
وَمَا فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنَ الغَرَائِبِ وَالعَجَائِبِ
تَحْتَوِي عَلَى الأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ
وَمَا فِي الأَرْضِ مِنَ الأَمْيَالِ وَالفَرَاسِخِ
وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ
وَمِنْهُ الهِدَايَةُ
إِلَى
سَوَاءِ الطَّرِيقِ

لأبي عبـ
المتوفى

أبي بكر الزُّهْرِيّ
لسَادِسِ الهِجْرِيّ

أعتنى بتحقيقِهَا
مُحَمَّد حَاجّ صَادِق

Bibliotheca Alexandrina
0144812

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بور سعيد – الظاهر
ت : ٩٣٦٢٧٧ – ٩٢٢٦٢٠

كِتَابُ الجغرافية

كتاب الجغرافية

وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة
وما في كل جزء من الغرائب والعجائب
تحتوي على الأقاليم السبعة
وما في الأرض من الأميال والفراسخ
وبالله التوفيق
ومنه الهداية
الى
سواء الطريق

لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري
المتوفى في أواسط القرن السادس الهجري

اعتنى بتحقيقه
محمد حاج صادق

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
الناشر
مكتبة الإسكندرية Bibliotheca Alexandrina
مركز المخطوطات والتراث والمعلومات
٥٢٦ ش بور سعيد – الظاهر
ت : ٩٣٦٢٧٧ – ٩٢٢٦٢٠

مكتبة الثقافة الدينية

لصاحبها : أحمد أنس عبد المجيد

الإدارة والمركز الرئيسى : ٥٢٦ ش بور سعيد – الظاهر

فـــرع : ١٤ ميـــدان العتبـــة

تليفون : ٩٣٦٢٧٧ – ٩٢٢٦٢٠

تقديم موجز

« كتاب الجعرافية » ـ بالعين المُهمَلة ـ من تُراث السلَف الإسلامي الأندلسيّ . وهو في آن واحد معروف مجهول ، عرفه كتّاب العرب القُدماء ونقلوا عنه القِطَع والصفحات الطِوال ولم يذكروا مع ذٰلك أسم مُؤلّفه . وتناقله النسّاخ ـ خصوصًا في المغرب العربيّ ـ وأهملوا كذٰلك أسم مُؤلّفه . وان المخطوطات التي وصلتنا منه كثيرة اعتمدنا من بينها للتحقيق على تسع نسخ هي بحسب الأقدمية :

١) پ = BNP= الخزانة الوطنية بپاريس رقم 2120 وسابقًا رقم 596 .
٢) ر[1] = BGR^1= الخزانة العامة بالرباط رقم 945 .
٣) ل = BML= المتحف البريطاني بلندن رقم 35143 .
٤) ج ج = BUA= خزانة جامعة الجزائر رقم 2016 .
٥) ج = BNA= الخزانة الوطنية بالجزائر رقم 1552 .
٦) ع ش= BAC= مخطوطة أسرة ابن علي الشريف مُودَعة بالخزانة الوطنية بالجزائر .
٧) ت = BZT= خزانة جامع الزيتونة بتونس رقم 2920 .
٨) م = BNM= الخزانة الوطنية بمدريد رقم 4999 .
٩) ر[2] = BGR^2= الخزانة العامة بالرباط رقم 779 .

كُلّ هٰذه المخطوطات مُتأخّرة عن عصر الكاتب وليس من بينها « أمّ » أو « بنت » منقولة عنها وكُلّها متّسمة بأنواع الخلل اللغوي وغير اللغوي على اختلاف بعضها عن بعض . أقدمها نسخة پاريس نُسِخت بعد عصر المؤلّف بنحو مائتي سنة . وهي التي اعتمدناها أصلا للمقابلة بغيرها وبالنبذ المنقولة عن الكتاب .

ذٰلك أنّه قد نقل عنه غير واحد من القدماء منهم ابن سعيد المغربي المتوفّى سنة ٦٨٥/1286 في « كتاب البدء وتاريخ آدم » ؛ ومنهم أحمد بن علي المحلّي المعروف بابن زنبـــل الذي عاش في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي في « تحفة الملوك والرغائب بما في البرّ والبحر من العجائب والغرائب » ؛ ومنهم المقّري المتوفّى سنة ١٠٤١/1632 في « نَفْح الطِّيب » .

ونُقِل الكِتاب في أثناء القرن الثالث عشر الميلادي إلى الاسبانية وآل إلينا من هٰذه الترجمة مخطوطة كانت في خزانة ملك اسبانيا الخاصّة طُبِعت منها فصول منذ ما يقرب من قرن .

وقدِ انتبه له منذ ثمانين سنة تقريبا عدد لا باس به من المستشرقين فنشروا منه نبذا مترجمة وغير مترجمة تتعلّق خصوصا بالمغرب العربي .

أمّا عنوانه فقد ورد هٰكذا باطِّراد في سائر النسخ بالعين المهملة عوض الموحدة وذٰلك على لغة جارية عند كُتّاب المغرب والأندلس على ما قيل . ومعنى كلمة «جعرافية» في الأصل خريطة والخريطة المثالية هي خريطة الخليفة المأمون الشهيرة التي نُسِخت عنها غيرها . ومرادِفها بهٰذا المعنى الخاصّ كلمة «سُفرة» وكلمة «مُفْرَدة» . وهما كلمتان واردتان في نصّ الكتاب غير ما مرّة . ويؤكّد هٰذا المعنى قول الكاتب مرارًا : «صوّرنا ... رسمنا ...» .

سبق أن قلنا إنّ الكاتب مجهول من جانب القدماء الذين نقلوا عنه . وهو كذٰلك مجهول من جانب النسّاخ بجملتهم ما عدا ناسخ مخطوطة پاريس الذي سمّاه في أول الكتاب : ابن (والصواب أبو) عبدالله مُحمّد بن أبي بكر الزُّهريّ نسبة إلى قبيلة بني زُهرة بن كِلاب التي كانت تخيّم حوالي مكة المكرمة والتي أنجبت أعلاما من الصحابة والتابعين والمحدّثين والفُقَهاء والقُضاة في مشارق دار الاسلام ومغاربها .

والغالب أنّ الزُّهريّ المذكور من فرعها الأندلسيّ ولو لم يرد ذكره في المصادر . فالذي نعرف عنه كُلّه مأخوذ من كتابه . فأمّا أندلُسيّته فظاهِرة من التفاصيل الدقيقة التي خصّ بها هٰذه البِلاد مُتحدِّثا مِرارا بصيغة المتكلّم قائلا مثلا : «رأيتُ ... شاهدتُ ... زرتُ ... بحثتُ ... وجدتُ ... قلتُ ... قيل لي ... أخبرني ... سألتُ ...» وهي عِبارات لا نقرأها له عن غير الأندلس . وخلاصة هٰذا أنّه من دون شك قد تجوّل بهٰذه الديار ونشأ بها وتُوُفّي فيها ويُرجّح أنّه من حاضِرة المرية لأنّه يُحدِّثنا عنها كثيرا ويؤثرها بعناية خاصّة . هٰذا فيما يخصّ المكان .

أمّا الزمان فيمكن تحديده بإمعان النظر في التواريخ العديدة المذكورة في نصّه . فمن بينها اثنان نستطيع أن نتّخذهما بمثابة وَتِدَيْن يدلّان على مُدّة نَشاطه . فهو يخبرنا بأنه في سنة ٥٣٢ / 1137 زار أصحاب الكهف بقرب لَوشة في عمل غَرْناطة وبأنه في سنة ٥٤١ / 1154 اجتمع في شَقُورة بمواطن عائد من القدس . فهو يظهر في التاريخ الأوّل كَهْلا يعتني بمفهوم أُعْجوبة أهل الكهف وبما فيها من الاعتبار الروحي بينما هو يشهد في التاريخ الثاني على أنّه لم ينته بعد من كتابة نصّه وأنّه ما زال بصدد جمع موادّه . وهناك تاريخ ثالث ذو بال . فهو يحدّثنا عن مُعاصِرٍ له اشتهر بالمغامرة في أيّام الفِتْنة التي كانت إذ ذاك تسود الأَنْدَلس هو إبْراهيم بْن هَمُشْكُ غير أنّه لا يذكر له حادثا هامّا قام به في سنة ٥٥٦ / 1161 هو استيلاؤه على حاضرة

غرناطة . فاذا قارننا هٰذه التواريخ الثلاثة اتّضح لنا أن الزُّهريّ توفّي بعد سنة ٥٤١ / 1154 وقبل سنة ٥٥٦ / 1161 وأنه معاصر للإدْريسيّ ولأبي حامِد الغَرْناطيّ .

أمّا صاحب الخَريطة أي الجغرافية التي نسخ عنها نسخته فقد سجّل اسمه جميع النُّسّاخ ما عدا اثنين وقالوا إنّه الفَزاريّ نِسبة إلى قبيلة فَزارة المشهورة التي أنجبت هي الأخرى في الجاهلية وفي الإسلام عِدّة من الأعلام بالحجاز والشّام والعراق ومِصْر وفارس وإفريقية والأنْدَلس من صحابيّ ووالٍ وراوية شعر وشاعر ومُنجِّم ورَئيس أُسطول ومُحدّث ونحويّ ولغويّ ومُؤرِّخ وزاهِد وغيرهم . غير أنّ المصادر التي احتفظت بأسمائهم لا تذكر من بينهم جغرافيًا . وذٰلك لأنّ هٰذه اللفظة التي هي من الدخيل لم تستقرّ في لغة الضاد إلّا في زمان متأخّر . ولكنّ المصادر تذكر من بينهم مُنجِّمَيْن والمُنجِّم يومئذ كان ذٰلك الذي يختصّ بعلم الهيئة والنجوم والرياضيّات ومِساحة الأرض وهي الجغرافية بمعناها العامّ . والفَزاريّان المُنجِّمان هما : أبو إسْحاق إبْراهيم بْن حَبيب وابنه أبو عَبْدالله مُحَمّد بْن إبراهيم . فالمصادر تنسب إليهما بدون تمييز عِدّة تآليف في الزيج والنجوم والأسطرلابات وتسطيح الكُرَة ، ضاعت برمّتها ولم يصلنا منها إلّا بعض القِطَع بواسطة من نقلها عنهما من أمثال ابْن قُتَيْبة والمَسْعوديّ ويَاقوت وابن النّديم وابن القِفْطي والصّفَدي والسُّيوطي . وإنّ مُناقشة هٰذه المصادِر وغيرها تُفضي بنا في النّهاية إلى الوقوف عند أبي عَبْدالله مُحمّد بن إبراهيم الفَزاريّ الذي كان من تَلامِذة الأصمعي ببغداد في أواخر القرن الثاني الهجري وأواسط الثالث أي في السنوات الأخيرة من خلافة المَأْمُون بْن هَارون الرّشيد وأنّه هو صاحب التآليف الآتية :

١) كتاب الزيج على سِني العرب ، منقول عن الفهلوية ، ضاع تمامًا .

٢) قصيدة في هيأة النجوم ، أرجوزة طويلة في عشر مجلدات على زعْم بعضهم لم يصلنا منها إلّا بعض أبيات بفضل المسعودي .

٣) كتاب تسطيح الكُرَة الذي اتّخذه سائر الكُتّاب مِثالا على ما قيل ولعلّ هٰذا الكتاب هو الذي تضمّن الخريطة التي نسخ الزُّهريّ منها نسخته أي جغرافيته وهي من ناحيتها منسوخة عن جغرافية المأمون .

قام الزُّهريّ بِشَرْحِها مُعتمِدا أوّلا على مشاهداته الشخصية خاصّة فيما يعود إلى الديار الأنْدَلُسِيّة ، وثانيا على ما سمعه من مواطنيه المعاصرين الذين سجّل لنا بعض أسمائهم لكن بدون تعريف ، وثالثا على نَكِرات يصفها بلفظة فلاسفة وحكماء وأطباء وأهل نظر وعلماء بمساحة الأرض وفلكيّين ومُنجّمين ومؤرّخين لم يذكر أسماءهم . ورابعا على أعلام مشاهير ذكر من بينهم أرِسطو والفَزاريّ